«التأملات القرآنية الميسرة»

(الجزء الأول)

من سورة الفاتحة إلى سورة الأنفال

عشرة أجزاء الأولى من القرآن الكريم

الطبعة الأولى

1446هـ. 2025م

ريادة
Reyadah
دار ريادة للنشر والتوزيع
Dar Reyadah for Publishing and Distribution

الفهرس

❊ ❊ ❊

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الكريم المنعم، منزل الكتاب، فاطر السماء والأرض وما بينهما، الواحد الأحد الذي لا إله إلا هو، له الحمد في الأولى والآخرة، والصلاة والسلام على إمام المتقين، وخاتم المرسلين محمد ﷺ، **أما بعد...**

المقدمة:

أخي القارئ سوف تجد في هذا الكتاب، بعض التأملات القرآنية اليسيرة، المستنبطة من بعض الآيات القرآنية، مع استناد يسير لبعض الأحاديث النبوية، ذكرت فيها بعض الفوائد والتأملات التي ترد لي عند تلاوة القرآن الكريم، وهي وقفات وتأملات لبعض الآيات، وكتاب الله هو النور المبين، الذي نزل به الروح الأمين، على قلب سيد المرسلين، لكي نتدبر، ونأخذ العبرة من الأمم السابقة، ولكي يكون القرآن منهج لحياة المسلم، يبني به نفسه، وجميع شؤون حياته، فمن هذا المنطلق، قمت بسرد وكتابة ما تيسر، ولا يعتبر هذا الكتاب تفسيرًا للقرآن، إنما تأملات إيمانية وخواطر روحانية، يسيرة لبعض الآيات الكريمة وليس جميع سور القرآن، والوحيين هما القرآن والسنة وهما مصدران للتشريع وبناء حياة المسلم، وهداية الناس لطريق الحق المستقيم، والقصد من

التأليف، ترك بصمة نافعة والأثر الحسن في الدنيا والآخرة، راجيًا من المولى الكريم العون والتوفيق والقبول، ويجعله خالصًا لوجهه الكريم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

❊ ❊ ❊

«فضل تلاوة القرآن الكريم، والعمل به، وتدبر آياته»:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ «سورة الإسراء: الآية (9)».

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ «سورة النساء: الآية (82)».

وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ «سورة محمد: الآية (24)».

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) رواه البخاري.

وقال ﷺ:

(اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه) رواه مسلم.

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: «لَوْ طَهُرَتْ قُلُوبُكُمْ مَا شَبِعَتْ مِنْ كَلَامِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ» فضائل الصحابة للإمام أحمد (775).

قال ابن القيم رحمه الله: «فالقلب الطاهر لكمال حياته ونوره وتخلصه من الأدران والخبائث لا يشبع من القرآن، ولا يتغذى إلا بحقائقه ولا يتداوى إلا بأدويته، بخلاف القلب الذي لم يطهره الله تعالى، فإنه يتغذى من الأغذية التي تناسبه بحسب ما فيه من النجاسة فإن القلب النجس كالبدن العليل المريض لا تلائمه الأغذية التي تلائم الصحيح» (إغاثة اللهفان).

«التأملات القرآنية الميسرة»:

(الجزء الأول)

من سورة الفاتحة إلى سورة الأنفال

عشرة أجزاء الأولى من القرآن الكريم

سورة الفاتحة: هي بركة القرآن، وفاتحة الكتاب، ومن أركان الصلاة، ولا تصح الصلاة إلا بها، فهي الشافية، الكافية، الواقية، والسبع المثاني..

قال ﷺ:

(لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ) متفق عليه.

«سورة الفاتحة ترتيبها الأول في القرآن»

بدأت بالحمد، والشكر لفاطر السماء، والأرض، ثم بتمجيده بالأسماء، والصفات، وله التحكم، والملك الكامل، سبحانه في الدنيا، ويوم الدين، وتحقيق العبودية، والإيمان.

وفيها الشفاء، واليقين التام بالوحدانية، والاستعانة بالله، وحق التوكل عليه، وطلب الهداية منه، والسير على طريق المتقين، الذين أنعم المولى عليهم بمنه، وكرمه، فهداهم إليه، وحماهم، ولم يغضب عليهم، وأرشدهم إلى الصراط المستقيم، الذي من تمسك به نجا من الضلال، والجهل، والحمد لله رب العالمين.

1/ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

البسملة ذكرت في موضعين، الأولى في بداية سورة الفاتحة، والثانية في سورة النمل، وهناك فرق بين البسملة والتسمية...

البسملة: تأتي كاملة وهي قول بسم الله الرحمن الرحيم وتقال:

عند بداية تلاوة سورة الفاتحة، وعند كتابة الخطابات والمراسلات وغيرها، لنيل البركة والخير وتيسير الأمور.

وأما التسمية: فهي قول بسم الله فقط، وتشرع عند الوضوء والأكل وبعض المواطن المذكورة في السنة، ويفضل الاستعانة بها في جميع شؤون الحياة.

قال ﷺ:

«كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع».

أي: منزوعة عنه البركة.

❊ ❊ ❊

1/ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾

عند قولها يستمد المؤمن البركة والخير من ربه.

وكل أمر أراده يجد المؤمن فيه، البركة وتيسير الأمور، ما لا يخطر على البال.

وكأنك تقول يا رب وكلتك أمري وجميع أفعالي، فارزقني تيسير

الأمور، لأن جميع مصادر الخير في الدنيا والآخرة، هي من عند الله وبأمره، فالعاقل والموفق بتوفيق الله، يستعين بما شرعه الله، وأمر به في تشريعات الوحيين، وبها يطلب العون، وبها تستجلب الكرامات، وهي مفتاح السر والخير، والوقاية من الشيطان الرجيم، ومن الشرور عامة، ومن عين حاسد، فعند قولها يؤكد العبد عبوديته لربه ويرجو منه المدد الرباني.

ومن معجزات وثمرات قول «بسم الله» عند بداية الطعام تعقيم وتطهير الأكل، وطرد الشياطين، وأيضًا تعطي العبد إعانة، وتسهيل فوق ما يتصور، وتفتح له أمور لم يكن يتوقعها، فهي بركة شاملة لما شملت من معاني جليلة واعترافات نقية لربه، وإظهار ضعفه وحاجته، ويلتمس منها تيسير ما يريده.

وهناك أثر عن الإمام عمر بن عبد العزيز رحمه الله: كان يقول لكُتّابه: (طوِّلُوا الباء، وأظهِروا السّين وفرجوا بينهما، ودوِروا المِيم تعظيمًا) وهذا من إجلاله لهذه الكلمة رحمه الله.. وقال المُبرِّد من البصريّين: أن بسم الله مشتق من السُمُوّ وهو العُلُوّ.

«نسأل المولى الكريم أن يرزقنا الاستعانة به، وألا يكلنا لأنفسنا طرفة عين».

* * *

2/ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾

تقر في نفسك، وفي ظاهرك بنعم الله عليك، رزقك التوحيد والنور والعافية، وأرشدك وهداك لما ينفعك، فعلى العبد أن يشكر ربه بالقول والفعل، ويكون الشكر ظاهر على أفعالك وأقوالك، وأن تسخر نعم الله في مرضاته وتحذر مما يغضب مولاك، تأمل في أول آية ذكرت في سورة الفاتحة، بدأت بالحمد، نكررها في اليوم عدة مرات، وبها تصح الصلاة، وتكون بدايتها بالحمد وهي تقديم الشكر والثناء لله عز وجل، وهذا من الأدب النبوي قبل البدء في الدعاء لأن السورة بها مقاصد الدعاء، والتوحيد، وإخلاص النية لله، وتعظيم الأسماء والصفات، والمولى يحب عبده الشكور، لأن عبادة الشكر بوابة لزيادة النعم، ودلالة على توقير العبد لربه، ولو تأمل الإنسان في حياته ومعاملته الخاصة والعامة، تجد أنه يقدر ويزداد احترامه لمن أظهر له التقدير والشكر عندما أحسن له في أمر ما، أو بضيافة، أو تحية، أو حاجة من أمور الدنيا، ولله المثل الأعلى.

قال تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ «سورة سبأ: الآية (13)».

«رزقنا المولى الاعتراف بفضله وكرمه، وسخرنا لمرضاته، وتدبر كتابه».

* * *

3/ ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾

سبحانه من وصف عظيم، فهو الرب السيد، الذي جميع الخلائق تحت عنايته وأمره،

فاعلم بأنك لست وحدك، في هذا الكون الفسيح العظيم، هناك عالم الملائكة، وعالم الجن والإنس والحيوانات، وعوالم أخرى لا نعلمها، خلق الله الدنيا بعظمتها ومخلوقاتها وأجرى فيها الأقدار لجميع الكائنات الحية، وعلّم كل نفس وألهمها ما ينفعها، فإن أحسنت وقدمت لنفسك الخير أفلحت، وإن أهملتها ولم تبالي فلا تلومن إلا نفسك، وكلمة الرب تشعرك بالطمأنينة والسند الرباني الحقيقي، فالبشر جميعهم تحت عناية ربهم وأمره، فلن يحدث أمر في هذا الكون إلا بعد إذن الرب العظيم جل جلاله، لذلك كن مطمئن وسعيد بأنك مسلم ولك رب يحميك، فقط أقبل إليه.

«يا رب العالمين، علمنا ما ينفعنا، وزدنا علمًا وتوفيقًا».

* * *

4/ ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾

هذا الطريق الذي يريده الله منك، هدي القرآن والأنبياء، الذي لا ميل فيه، توحد ربك، وتستقيم على طاعته، وفرائضه، فالمولى أرشدك بما يستقيم به دينك، وهو الاستمرار على خط واحد وتحقيق التوحيد والعقيدة السليمة، ومتابعة النبي ﷺ، وهدي صحابته

الكرام رضوان الله عليهم، والاستقامة منه وتوفيق من الله، ليست بالأمر الهين، استقامة على الدين، والعبادة، والمبادئ، والأخلاق، لذلك كلمة اهدنا ذكرت قبلها، على صيغة دعاء، حتى يعلم العبد أن الاستقامة لا تكون إلا بإعانة المولى لعبده، بأن يسهلها لك، ويحبب لك الطاعة، ويكره إليك المعصية، فإياك أن تغفل عن الدعاء، وكثرة ذكر الله، وكل ما يدعم استقامتك افعله، مع مراعاة منهج الوسطية، وعدم الغلو، أو البدعة.

وكلمة اهدنا تعني أنك ترجو من ربك الثبات على الطريق الصحيح، وتدعو مولاك بالهداية والطريق المستقيم، وأن يبصرك ما ينفعك ويبعدك عما يضرك ولا تأمن نفسك، ولا تغتر بعبادتك ولا علمك، لأن الهادي هو الذي ألهمك وأعانك للإسلام والعبادة قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ «سورة القصص: الآية (56)».

«فلا نجاة إلا بالله، ولا ثبات إلا من ثبته الله».

* * *

5/ ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ ﴾ «سورة البقرة: الآية 2»

إشارة بأن القرآن الكريم، كلام الله، نزل من عنده لا شك فيه ولا ريب، فهذه قوة وحجة إذ ذكرت في صدر سورة البقرة، دلالة على سطوة القرآن، وأنه حق، فيه إعجاز وأخبار السابقين تحدى به المولى الكفار، ذكر فيه أحوال الجنين في بطن أمه ومراحل نموه والأطوار التي يمر بها، كتاب فيه الشفاء، بل ذكر فيه الأدوية الشافية، كتاب ذكر فيه الفصل في الحلال والحرام ومصالح العباد، وحقوق الإنسان، وقضايا الميراث والدين، وأحكام النكاح والطلاق، كتاب ذكر فيه الروابط المشتركة، بين جميع الأنبياء وتفاصيل قصة عيسى عليه السلام وأمه، حتى تفاجأ ملك الحبشة من توافق القرآن مع الإنجيل، كتاب ذكر فيه أحوال الكون الفسيح والكواكب وعلم البحار والنجوم، حتى تطور العلم في هذا الزمن ويؤكد ذلك بالتجارب والنتائج المبهرة التي ذكرت في القرآن؛ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فتبارك الله أحسن الخالقين.

* * *

6/ ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ «سورة البقرة الآية: 44»

ينكر المولى، على اليهود بأنهم يدعون إلى الخير، ولكن لا يمتثلون به، ولا يعملون بما يقولون، وهذا يقدح في صدق المحب للخير،

فالصحيح أنك تنصح نفسك قبل الآخرين؛ فمحاسبة النفس أولى من كل شيء، وجوهر الخير أنك تجرب وتطبق على نفسك أولًا، لكي تذوق التوبة والعبودية، فمن ذاق عرف، وحتى ترزق الملكة بعد تجارب ومدة طويلة كنت تدرب فيها نفسك، وتزكيها، وترشدها لما ينفعها، وتبعدها عما لا ينفعها.

وتأمل واقرن ذلك في حياتك، تعلم كيف تربي نفسك أولًا حتى تستطيع إصلاح غيرك، وبركة التوجيه وثمرته، أن يكون الناقل قد عمل بما يقول، وهذا الجانب التربوي هام جدًا، يجب على الوالدين والمربون أخذه بعين الاعتبار، ويفضل بأن يكونان حريصان على التطبيق قبل الأبناء، فهذا سوف ينعكس إيجابيًا عليهم، والنتائج ستكون قوية ونافعة بإذن الله، حسب ما تكون هناك توجيهات صادقة، يسبقها التطبيق يكون التأثير أقوى؛ لأن الأفعال أبلغ من الأقوال، ولكن هناك من يترك النصيحة بحجة أنه لا يعمل بها، وهذا مسلك غير صحيح وربما يكون من وساوس الشيطان لكي يترك الخير، بل الأولى أنه ينصح ويذكر الآخرين ويصلح نفسه، ويجتهد، ويتصبر حتى يصبره الله، لأنه لا يوجد إنسان معصوم من الخطأ، وكم من عالم دين لا نعلم من هو شيخه ولكن المولى يعرفه سبحانه، فوجد ثمرة علمه قد انتشر بتوفيق الله ثم بنيته الخالصة، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، وفي كل خير.

* * *

7/ ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ «سورة البقرة الآية: 82».

تأمل كرم الله ورحمته بعباده، هداهم للإيمان والعمل الصالح، ثم وصفهم بأنهم أصحاب الجنة، ومعلوم أن الصداقة يسبقها معرفة، وفي سورة محمد يقول تعالى: ﴿ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ۝٥ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ﴾ خلق الله، أبو البشر آدم عليه السلام في الجنة، ولا يشعر عبادُ اللهِ الصالحين عند دخولها بغرابة يدخلونها بسلام آمنين، كأنهم يعرفونها من قبل، فكل البشرية أصولهم الحقيقة من الجنة هناك المسقط الأساسي، وقد ذاق أولياء الله الصالحين نفحات الجنة في الدنيا قبل يوم القيامة بصدق نيتهم مع ربهم، وحُسن عبادتهم، كما قال بعض أهل العلم إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، وهي حلاوة الإيمان، ولذة العبادة والإنابة الحقيقة لربهم، تتجافى جنوبهم عن المضاجع، حبًا لربهم وشوقًا لمناجاته، يتلون آيات ربهم، وينفقون لنيل المغفرة، فهو الكريم، والجزاء من جنس العمل، تقدم شيء بسيط لله تجد ثمراته متعددة عليك، يحفظك، يسدد أمرك، يرشدك ويهديك، يلهمك، يبارك في يومك، يسهل أمر دينك ودنياك، يغفر ذنبك، فقط أقبل فالثمن جنة عرضها السماء والأرض أعدت للمتقين، جعلنا المولى من أهلها وغفر لنا آمين، آمين.

* * *

8/ ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ «سورة البقرة الآية: 98»

يخبر المولى عز وجل، بأن العداوة واحدة عند اختلاف العقيدة والأصول، ولا فرق بينهم، سواءً ملك أو نبي مرسل، لأن المنهج واحد، والرب واحد، والمبدأ واحد، والقبلة واحدة، والعدو واحد وهو الكافر، لسوء معتقده وضلالة فكره وفعله.

تأمل الوضوح والبيان الراقي المبني على عقيدة راسخة في هذه الآية الكريمة، فعند المبادئ والعلم والبراهين، يسقط كل شيء ليس له صلة هادفة حقيقية تخدم لغز وسنن هذا الكون وآياته، وهي التوحيد ومعرفة الله والإيمان برسله، واليوم الآخر، ولكي تصبح النفوس يقودها الحق فقط، وليس الهوى أو الأنساب أو غيره، لأن المبادئ تفضح الأقنعة الكاذبة، ويظهر حينها الصادق من الكاذب، لذا توحيد الفكر العقدي، يعزز من اجتماع الكلمة وروح الأمة، واعتصامها بخالقها.

* * *

9/ ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ «سورة البقرة: الآية 195»

كما تعلم أخي القارئ بأن القرآن الكريم يشتمل على الأمر والنهي، وهذه الآية تندرج نحو الأمر والنهي، وعلى العباد الانقياد

والعبودية بالسمع والطاعة.

فالمولى عز وجل يرشد عباده للنفقة والإحسان، وهي الصدقة والزكاة مرضاة لله ومطهرة للنفس والمال ونيل البركة والمغفرة، فالعطاء يهديك للإحسان والإحسان يوصلك إلى محبة الله، فإذا أحبك الله؛ حزت خير السماء والأرض، وتأمل بأن الله أذن للبشرية حرية الاختيار وجعل الخير والشر بيد الإنسان، فالنفقة والخير بيده وإرادته، وكذلك الإثم والذنوب، وسوء الاخلاق، والبخل وهي التهلكة والدمار ستكون باختياره ويده، وكلها اختبار وبلاء من الله، فالعاقل الذي يريد الآخرة، يعود نفسه على محاسن الأمور ويصبر ويتصبر؛ فإن الله إذا رأى صدق عبده أعانه ويسر أمره، لأن النفس تضعف إذا أهملتها ولم تهذبها ولم تداريها بمعالي الأمور، فالفوز الحقيقي هو الانتصار على النفس.

«نسأل المولى الكريم أن يهدينا لأحسن الأخلاق ويكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان».

* * *

10/ ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ «سورة البقرة: 198»

الإفاضة تدافع الحجيج من عرفات لكثرتهم؛ فشبه المولى

الجمـوع بـالفيض وهـو السـيل الجـاري بسـبب الزحـام، أي بعـد فراغكم من يـوم عرفـة، استمروا في ذكـر الله عنـد وصـولكم مزدلفـة والمشعر الحرام واشكروه على ما هداكم.

المولى عز وجل أمر عباده بالذكر بصيغة الشكر.

وسبحان الله لـو تأملـت معـي لـم يقـل لهـم اشـكروا، بـل أمـرهم بالذكر على صيغة الشكر، أي ذكركم لله يعتبر شكر، ونعمـة الهدايـة وأداء المناسك وأنه اصطفاهم على كثير من الخلق، ولذا قـد تكـون بعض العبادات، هي من باب الشكر، هناك شـكر بالقلـب، واللسـان و الجوارح، والحسنى الجمع بينهم وهو الصحيح، لذا عنـدما تفـرغ من فعل عبادة، اشكر ربك على التمام حتى يزيـدك هدايـةً وتوفيقًـا، وأيضًا تستطيع أن تنـوي أداء أي عبـادة نافلـة ونيتـك الشـكر لله، بـأن يسر لك فعلها، وأعانك وهداك للإسلام، فالشكر يجعل النعم تدوم وتزيـد، وطالـب العلـم الـذي يبتغـي وجـه الله، تجـده لا يزهـد عـن النوافل وبقية السنن، فهي المعينة له بعد الفـرائض، وحقيقـة الشـكر بأن تكون الأقوال مطابقة للأفعال، ولنـا في رسـول الله أسـوة حسـنة، فالنبي محمد ﷺ إمام المتقين، عندما سـألته عائشـة رضـي الله عنهـا بأن ينام، ويرتاح، ويخفف من قيام الليل؛ بسبب المشقة التي يجدها في قدمه من طول الصلاة، وأيضًا لعلمها بأنه نبـي ومـن أهـل الجنـة، فقال لها أفلا أكون عبدًا شكورًا، أي تفضل المولى عليَّ بـالنبوة مـن بـين أهـل مكـة وقـريش، فمـن بـاب رد الجميـل، وتحقيـق الشـكر

لمولاي أتطوع وأصلي، هكذا هي النفوس الراقية الكريمة، تقدر وتشعر لمن أحسن إليها، فجميع الأنبياء متصفون بالخلق الحسن وعبادة الشكر والإنابة (اعملوا آل داود شكرًا).

صلوات الله وسلامه عليهم وحشرنا معهم بكرمه وجوده والحمد لله.

* * *

11/ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴾ «سورة البقرة: الآية 204»

عن ابن جرير قال حدثنا نوف البكالي وكان ممن يقرأ الكتب:

«إني لأجد صفة ناس من هذه الأمة في كتاب الله المنزل:

قوم يحتالون على الدنيا بالدين؛ ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمر من الصبر، يلبسون للناس مسوك الضأن، وقلوبهم قلوب الذئاب».

يقول الله تعالى: (فعلي يجترئون! وبي يغترون! حلفت بنفسي لأبعثنَّ عليهم فتنة تترك الحليم منهم حيران). قال القرظي: تدبرتها في القرآن، فإذا هم المنافقون، فوجدتها: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴾

(تفسير الإمام ابن كثير رحمه الله)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«آية المنافق ثلاث؛ إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان». رواه البخاري 6095

آية: أي علامة والصفة الظاهرة عليه، ومن صفات المنافق، التلون، فهو لا يبالي بما يقول، همه مصلحة نفسه فقط، وخداع من حوله، ولا حول ولاقوه إلا بالله.

تأمل معي خطورة هذه الصفة الذميمة وهي النفاق، إظهار الخير وإخفاء الشر.

يخبر المولى عن حال بعض المنافقين في الظاهر ترى منهم الخير، والإحسان، وفي باطنهم الشر، والكيد، والفجور، والغضب السريع، والمكر، والانتقام والحسد، ماذا يستفيد الإنسان عندما يكون متلاعب، ولديه أكثر من صفة وتلون في المبادئ، والأخلاق؟ كيف يجد البركة في دينه، أو يومه، حتى لو كان المجتمع لا يساعدك أو محيطك الذي تعيش فيه؟! فلا تبرر لنفسك، كن أنت وتمسك بالقيم التي عندك، وكن قليل الخلطة فالعزلة النافعة خير لك، والصادق لن يخذله الله، والمنافق أمره مكشوف، وسُمعته معدومة، ونهايته مذمومة.

ومن التأملات نحو هذه الآية الكريمة، أن العبد ينبغي له أن لا يجالس بكثرة أناس بهم صفات النفاق، حتى ولو كانوا يملكون لباقة في الكلام، والابتسامات المزيفة، يجب أن يكون جليسك وصديقك

صاحب مبادئ وقيم راسخة، مبنية على الدين والأخلاق الحسنة، ومما لاشك فيه بأن البشر كلنا ذو خطأ ولا يوجد إنسان معصوم، ولكن مراعاة المبادئ مهمة جدًا في حياة البشر.

***

12/ ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ «سورة البقرة: الآية 212»

الدنيا جنة الكافر وسجن المؤمن، وقدر المولى بأن الكافر يتمتع في الدنيا بالشيء القليل الغير دائم في دنيا زائلة، ويحرم من دار الخلود جنة عرضها السماوات والأرض، ويحرم من النظر إلى رب العزة، ولقاء الأنبياء، فأي حسرة أشد على النفس من هذه!، فهو يتوهم بأن المؤمن محروم من اللهو والمتعة في حياته، ولكن العبرة بالنهاية، فالمؤمن مباحٌ له أغلب الأشياء، والتحريم على أمور قليلة جدًا، بل هي موافقة للعقل والفطرة والإنسانية، فالخمر محرم لأنه يضر العقل والجسد، والزنا محرم لما يترتب عليه من مفاسد دينية، وصحية، ونفسية، وتفرق الأسرة وأكل الحرام وكلها مقاصد إسلامية نبيلة تعزز مصالح العباد، فاصبر يا عبد الله واستعن بالله، ففريق في الجنة وفريق في السعير، «اللهم أكرمنا بدخول جنتك

ونجنا من النار وحبب إلينا الإيمان، ونجنا من الكفر والعصيان».

* * *

13/ ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ «سورة البقرة: الآية (221)»

يخبر المولى الكريم بأن الاختيار الشرعي الصحيح في الزوج بأن يكون مؤمن بربه غير مشرك، حتى لو كان المشرك صاحب مال، أو جمال، أو جاه فكل هذه المعايير والمظاهر لا تفيدك إلا في الدنيا، يجب أن يكون اختيار المرأة المؤمنة بناءً على المقاصد الشرعية، التي تنفعها في الآخرة قبل الدنيا، ومعلوم بأن الرجل يجوز له النكاح من أهل الكتاب، بخلاف المرأة لا يجوز لها، لأن القوامة وأمور الدين والحياة تسير بقيادة الرجل.

وتأمل أخي الكريم المقياس الحقيقي للتعارف مع الآخرين، وكيفية اختيار الرفيق، بأن يكون اختيارك مبني على مبادئ واضحة، وعقيدة راسخة، وفهم راجح، بعيدًا عن إتباع الهوى والرغبات، فلا خير في صحبة من لم يعرف ربه، ولا أمر دينه، يتبع هواه ورغبات نفسه فقط، بالله عليك كيف تأمن هذا الإنسان الذي لا يؤمن بربه على نفسك، أو أهلك، أو مالك؟! وهناك مثل شعبي دارج بين

الناس: «من لا يخاف ربه خاف منه» وهذا صحيح؛ إذا كانت النفس لا تراقب ربها، وكانت خالية من القيم ومبادئ ترشدها في فعلها وكلامها ضاعت وأضاعت حقوق غيرها فالحذر الحذر.

* * *

14/ ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ «سورة البقرة: الآية (237)»

هذه الآيات فيها معانٍ راقية، رغم أنها في أحكام النكاح والطلاق، المولى الكريم يرشد عباده إلى خلق عظيم وصفة يمتلكها الكبار، ولا تُنال إلا بتوفيق الله ثم مجاهدة النفس، ألا وهي العفو والتسامح والتجاوز عن زلات الآخرين، والأخطاء التي ترد منهم بلا قصد، صفة العفو تعتبر من صفات أخلاق المسلم، والآية تدل بأن الخلق الحسن يعزز التقوى في النفس أي يزيد إيمان الشخص، لأن الفضائل تهذب النفس، ثم قال «ولا تنسوا الفضل» أي لا تتركوا، وليس المقصود نسيان الغفلة... يريد المولى تذكيرهم لأن في وقت الغضب الشيطان أو النفس الغاضبة يُنسيانك كل شيء جميل، بمعنى لا تتجاهلوا صنائع المعروف بينكم والأيام الجميلة والمواقف النبيلة، فالعاقل يوزن الناس، وينظر للإيجابيات والسلبيات ولا يحكم من موقف واحد، بل يتريث ويتأمل محاسن الآخرين، ويجعل صفة العفو حاضرة ضمن حياته، وكل مؤمن

يتمنى يوم القيامة أن لا يحاسبه الله، ولا يرى النار، ويرجو أن الله يشمله بعفوه، كذلك أنت اعفو حتى يعفو الله عنك.

* * *

15/ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ «سورة البقرة: الآية (255)»

آية الكرسي أغلب المسلمين يعلمون فضلها، وأهميتها في حصانة العبد من الشرور والشياطين وكل مكروه، فهي العمدة في الحرز والورد اليومي، وسبب لدخول الجنة، وبها معانٍ أصولية هامة لتوحيد الله بالوحدانية والأسماء والصفات، وتؤكد لنا هذه الآية العظيمة بأن المولى غير عن عباده ولا مثيل له ولا شبيه، فهو لا ينام ولا له سنة أي نعاس، سبحانه جل جلاله، وله العلم والإحاطة الكاملة في الدنيا والآخرة فهو المدبر، الغني بنفسه، وخالق كل شيء، ومما تأملته في بداية الآية العظيمة، أن المولى ذكر في بدايتها كلمة التوحيد، وهذه إشارة هامة، ودلالة عظيمة على أن تحقيق التوحيد والبراءة من الشرك يضمن للعبد حفظه وبركته في يومه وحياته، صيانة العقيدة قبل كل عبادة، فلا يقبل الله طاعة العبد إذا لم يحقق سلامة عقيدته من الشرك، والبدع، والغلو.

* * *

16/ ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ «سورة البقرة: الآية (256)».

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ هذه الآية الحكيمة، ترشدك أخي المؤمن الداعية أو المحب للخير إلى عدم إلزام أحد، أو السيطرة عليه أثناء دعوتك، أو نصيحتك، أمر المولى جميع الأنبياء أن تكون دعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة، وتحبيب الدين للناس على بصيرة، وإياك والعجلة في النتيجة، عليك فقط البلاغ وإنذارهم بالنار وتبشيرهم بالجنة، لأن الهداية بيد الله، فعلى العاقل الحكمة واتباع هدي المصطفى ﷺ، وعدم السيطرة على الناس بالتشديد والإكراه والغلو؛ فإن عواقب ذلك هي النفور.

* * *

17/ ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ﴾ «سورة البقرة: الآية (260)»

*وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ *

إبراهيم عليه السلام – خليل الله – أي حبيب الله لشدة محبته لربه، وكانت لديه صفة الكرم، وكان في وقت الطعام لا يحب أن يأكل

بمفرده، وكان يبحث عن أحد حتى يأكل معه، وسماه الله أمة من بين الأنبياء، وجعل في ذريته النبوة والكتاب عليه الصلاة والسلام.

تأمل قصص القرآن في تفاصيل قصص النبي إبراهيم عليه السلام، تجد أنه صاحب تدبر وتفكر وتأمل في هذا الكون، يمتاز بالعقلانية والتفكر وبالإنابة لربه، لديه التسليم الكامل تجاه أوامر ربه، ولكنه يحب اليقين التام والحس البصري، ولو تعامل المرء في بعض معاملات حياته على قاعدة (ليطمئن قلبي) قد يرتاح، لذا هناك بعض الأمور التي تصادف الإنسان في حياته، قد يجد بأن ظاهرها إيجابي وسليم من جميع النواحي، ولكن قلبه لا يطمئن من شيء غير مريح جاء في نفسه، فمن هنا شُرعت الاستخارة، والاستشارة، وطلب من الله الإعانة وتيسير الأمور.

«اللهم صل على نبينا محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد».

* * *

18/ ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ «سورة البقرة: الآية (262)»

الصدقة أجرها عظيم، والكافر يتمنى يوم القيامة أن يعود لدنيا ليتصدق؛ لأنه رأى فضل المتصدقين والأجور التي نالوها بعد

رحمة الله، والصدقة مطهرة للمال وللنفس، تحفظ الإنسان من الشرور ومن ضيقة النفس، وتعسر الأمور، فالعطاء قوت المحبين، وبركة للعمر، ولكن هناك موانع تمنع عن المتصدق نيل الأجر، كالرياء، والمن، والأذى؛ فأنت تصدقت لكي تسد حاجة أخيك وتبعد عنه الهم والفقر وتواسيه، فالمولى يرشد عباده إلى الصدقة النقية بدون تجريح ولا تعيير، والمن أن تذكر المحتاج بأنك تصدقت عليه وتقوم بالسخرية منه، فيكون أجرك حينها غير مقبول لأن المولى لا يتقبل طاعة بها كبر، أو حسد، أو نفاق، أو رياء؛ يجب الإخلاص لله، ثم إخلاص العطاء للبشر، بالأدب وأن تكون نيتك سليمة ونقية تشعر بالمحتاج، وتضع نفسك مكانه، ثم تحمد الله بأن أغناك ويسر أمرك، ولتكن صدقتك طلبًا لما عند الله من المغفرة والرفعة في الدنيا والآخرة.

«اللهم ارزقنا الأدب والعبادة وتقبل منا».

* * *

19/ ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ «سورة البقرة: الآية (268)»

وظيفة الشيطان هي إغواء بني آدم، ودب الحزن والخوف والوسوسة في صدورهم وبدأ بالفقر؛ لأن المال من أساسيات الحياة وزينتها، فهو يزعزع عنهم العقيدة الصحيحة ويجعلهم

ينسون بأن الرازق هو الله وبأنه لن يتركهم، ثم يأمرهم بالفاحشة التي تفسد عليهم دينهم وحياتهم، واختار الشهوة؛ لأنها من الغرائز التي يتلذذ بها الإنسان، والتي تجعل الإنسان يفقد عقله ويغيب عنه التأمل في العواقب، والمولى الكريم قدم المغفرة على الكرم والفضل «لأن ما عند الله لا ينال إلا بغفرانه ورحمته».

* * *

20/ ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ «سورة البقرة: الآية (272)»

حقيقة الانتفاع بالنفقة أو الصدقة، ليست للمحتاج؛ بل المتصدق هو المستفيد الأول في نيل الثواب والبركة في الدنيا والآخرة، لأنه وعد الله وأمره في ثمرات الصدقة.

وحتى يضمن المتصدق الأجر، وتحقيق البركة على نفسه وتيسير حياته، يجب إخلاص النية لله، يطلب ما عند الله ولا يكون همه مدح الناس له بأنه كريم، ويتحرى المال الحلال، فإذا علم العبد آداب الصدقة وعمل بما يوافق الشرع، وجد الأجور في الدنيا بالحياة الطيبة، وبدار عدن يوم القيامة، فالمولى يربي لعبده الصدقة بكرمه ورحمته.

* * *

21/ ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ «سورة البقرة: الآية (281)»

التقوى هي شعار المتقين والصادقين والعلماء، وهي وصية الله للرسل وعباده الصالحين، وهي الوقاية والخوف من الله والعمل الصالح والاستعداد ليوم المعاد، وذكرت التقوى هنا بعد آيات الربا، وفيها تحذير ووعيد لمن لا يمتثل بما نهى الله عنه، والوعد بيوم القيامة يوم تجازى فيه النفوس بما عملت من خير أو شر، وهناك العدالة الحقيقة والنصر الحقيقي لكل مظلوم، وخير ما يدعو به العبد مولاه أن يرزقه التقوى؛ فهي التي تهذب النفس وتضبط ميول الإنسان وتقربه من مولاه وتزيد من خشيته لخالقه، فمن أراد زيادة العلم والرزق فعليه بالتقوى، فهي بوابة لكل خير وبركته، بإذن الله.

❊ ❊ ❊

22/ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ «سورة آل عمران: الآية (5)»

سبحانه وتعالى قدم الأرض على السماء، التأمل والتفكر في هذه الآية، يشعرك بقوة وعظمة الخالق سبحانه وتعالى، كل شيء محكم ومقدر، وسع علمه في الإحاطة بجميع أحوال الكون، وأنه مطلع على عباده، ولكن الخطاب هنا للبشر، الذي يعيشون على الأرض، والله بعلمه وقدرته أحاط بكل شيء، وأنه على كل شيء قدير، وإليه ترجع الأمور، وحتى ندرك ونؤمن بأن وجودنا غير دائم، فنحن ضيوف على أرض ربنا، فلنحسن الإقامة، فالسفر طويل، والزاد قليل، وأملنا بالله كبير سبحانه وتعالى،

والآية ترشدنا إلى الاهتمام بالنوايا قبل الأفعال، فاللطيف لا يخفى عليه شيء.

«فالعاقل يجدد نيته قبل كل عمل، فهي المحك لنيل الأجور».

* * *

23/ ﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ﴾ «سورة آل عمران: الآية (17)»

هذه الآية اشتملت على صفات عظيمة وعبادات جليلة، بدأ المولى الكريم بصفة الصبر حتى ندرك بأن الصبر عظيم، ومن رزق

الصبر في دينه ودنياه نال خيرًا كثيرًا، والصبر هو حبس النفس وتحمل مشقة الطاعة، ومشقة الحياة.

وفي هذه الآية ذكر الصبر قبل كل الصفات، لأن الصبر هو الداعم الأول للنفس بعد توفيق الله في اكتساب هذه الفضائل، الصادق ربما يجد أذى في حياته من قبل بعض النفوس المريضة التي تكره الحق، فيحتاج الصادق إلى صفة الصبر كذلك بقية العبادات المذكورة في الآية، وكلمة الصبر ذكرت في القرآن كثيرًا في عدة مواضع؛ لأهميتها

قال ﷺ: «من يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر». متفق عليه.

﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا ذهب الصبر ذهب الإيمان».

وفي لفظ: ثم رفع صوته فقال: «ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له».

* * *

24/ ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ «سورة آل عمران: الآية (31)»

يقول النبي ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار».

صدق المحب بأن يتبع من يحب، النبي محمد عليه الصلاة والسلام رسول من ربه، وحتى ينال العبد محبة ربه يجب عليه أن يتخذ سبيل وهدي الأنبياء، لأنهم مأمورون من عند ربهم، والحب علامة على صدق العبد تجاه ربه ونبيه، ومحبة الله تجلب للمؤمن المغفرة، فالمرء مع من أحب، ومن كرم الله أن جعل المحبين في سبيله يدخلون جنة ربهم بسلام، ما أعظمه من دين! قد تدخل الجنة بسبب حبك لله ورسوله ﷺ.

«فاللهم نسأل حبك وحب نبيك وحب من يحبك بكرمك ورحمتك».

* * *

25/ ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

«سورة آل عمران: الآية (89)»

التوبة هي: العودة والإنابة إلى الخالق، والاعتراف بالخطأ،

وجوهر التوبة وبريقها

بـأن يتبعهـا الصـلاح الخـاص للـنفس بفعـل الطاعـات وتـرك المنكرات، والعام للناس بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا ذاق العبد حلاوة التوبة وبشاشة الإيمان في قلبه، تجده يـود أن ينقـل الخير والهداية لغيره، وهذه ثمرات التوبة الصادقة بـإذن الله، وغـذاء التوبة العمل - الأعمال الصالحة - وليست التوبة عبارة تقال في يوم واحد وانتهى الأمر، بل هي وظيفة العمر والحياة، فالتوبة قرار بـترك ما يغضـب الله فهـذه الدرجـة الأولـى، ثـم تـأتي الدرجـة الثانيـة وهـي الصـلاح والهدايـة والثبـات، وهـذا عزيـز والمعـين الله، لا سـيما، إذا كانـت الإرادة وعزيمـة التوبـة صـادقة وعـن قناعـة حقيقيـة، وحينهـا يرزق العبد كرم ومغفرة المولى عز وجل.

«اللهم تب علينا، وأصلحنا، واغفر لنا برحمتك ومغفرتك».

* * *

26/ ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

«سورة آل عمران: الآية (103)»

هـذه الآيـة العظيمـة، ترشـدنا بـأن القـوة والنصـر للأمـة، تكـون بالاستعانة بالله، ثم تماسك المجتمع، وتوحيد الكلمة والبعد عن

التفرق والحزبيات، التي لا ثمرة منها إلا إسعاد إبليس، وعلينا أن ندرك بأن قلوب العباد هي بيد الله عز وجل، فالقلوب تجتمع وتتآلف وتقوى، إذا اعتصم العباد بالقرآن والعقيدة السليمة، واتباع المصطفى عليه الصلاة والسلام، والعلم الشرعي، وبسلامة الصدر والتغافل، وتذكر نعمة الإسلام والهداية والمحافظة عليها بشكر المولى، لو تأملنا بداية الآية، ذكر العصمة وبعدها قال بحبل الله، أي أن تعاونكم، وقوتكم، واجتماعكم، وعدم التفرق، لن تصلوا إليه، إلا بالتمسك بالقرآن الكريم، والعلم، والعمل به، وتلاوته وتدبره، لأن في الماضي كنتم أعداء في الديانة وحب الدنيا، فالمولى أنعم عليكم واصطفاكم للدين وهداكم، وأنجاكم من النار.

«اللهم ألف بين قلوب المسلمين، واجعلنا هداة مهتدين».

* * *

27/ ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ «سورة آل عمران: الآية (159)»

ينبغي للداعية الموفق، أن يتحلى أثناء دعوته بالحكمة ولين القول، فإن ذلك أدعى وأنفع لجذب الناس إليه، وجميع الرسل كانوا يتخذون هذا المسلك في دعوتهم إلى الله عز وجل، لأن قلوب

البشر جُبلت على من يلاطفها ويصبر عليها، وليحذر الداعية من العجلة لهداية الناس، أو الغلظة في أسلوبه ونصحه، فإن ذلك ينفر الناس منه، ولا يعامل الآخرين بطاقته وحجمه الإيماني، ويطلب منهم في يوم واحد أن يكونوا من المتقين والصالحين، لقد كان قدوتنا محمد ﷺ، يصبر على جميع الفئات أثناء الدعوة.

وكان في بدايته يسير على منهج اللين والرفق، وكان يردد عليهم شعار التوحيد قبل الأحكام والتشريع، «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»، فالعهد المكي ليس كالعهد المدني، هناك فروقات وأحكام ومراعاة في توقيت بداية نشر الإسلام، وحتى تستوعب النفوس الوحي والتشريع لا بد من التدرج والحكمة، ولو تأملنا آداب السورة ذكر المولى صفة العفو والشورى.

العفو مهارة راقية، يحتاجها كل إنسان خصوصًا من يدعو إلى الله؛ لأن الداعية سيواجه الجمهور والناس على مختلف عقولهم وميولهم، فالخلطة علقت في الشريعة بالصبر والعفو، ولأن الداعية محل أنظار الناس، وسيجد أثناء دعوته أناس عقلاء، وأناس أعداء، وجهلاء، وغير ذلك، فاللين والرفق، سار عليهما جميع الأنبياء أثناء دعوتهم.

قال النبيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرِّفقَ لا يَكُونُ في شيءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلا يُنْزَعُ مِنْ شَيءٍ إِلَّا شَانَهُ» رواه مسلم.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (من لانت كلمته، وجبت محبته).

لأن خلق العفو، يقرب الآخرين منك، بل يكون سبب في انتشار الإسلام بشكل أقوى، لأنه صادر من قلب نابع بالحكمة المحمدية، ومن إيمان راسخ، ورسالة هادفة، وينبغي للداعية أن يتحلى بالتأني، ويستشير أهل العلم ومن سبقه، ولا يعتمد فقط على نفسه، مع الاستعانة بالله بالإخلاص، والعلم، وفقه الواقع، والخلق الحسن.

«اللهم أصلحنا، وارزقنا الحكمة، والقول الحسن».

* * *

28/ ﴿بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ «سورة آل عمران: الآية (167)»

هذه الآية فيها تحذير وتوبيخ، لمن كانت أقواله مخالفة لباطنه، وهذا من الأدب الرباني والتربية الصادقة، والصدق هي الصفة التي تميز بها جميع الأنبياء والصحابة الكرام، فالدين الإسلامي يحتاج إلى تضحيات أثناء السير عليه، وتطبيق أحكامه والامتثال والطاعة، والانقياد لأمر الله ورسوله، فأشد عذاب أهل النار هم المنافقين، لأنهم خانوا الله ورسوله، والنفاق ضد الصدق، فالعبد الموفق تجده يحذر الآخرة ولقاء ربه، ولا يأمن نفسه، ولقد كان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، يردد كلمات مع نفسه حين احتضاره في مرض موته، يقول: «لا بعد، لا بعد» للشيطان لأنه كان نادم ويعض على إصبعه، ويقول له: «فتني، فتني يا أحمد» لأنه أشعره بأنه لم يستطع

عليه، فكان الإمام فقيهٌ ومعانٌ من ربه، ولم يعجب بنفسه، وعلم مراد إبليس، ولذا كلما كان العبد يتبع أمر ربه بنية صادقة، وقلب خاشع، ظهر ذلك على جوارحه وظاهره.

ثم تتغير القناعات الخاطئة السابقة، وتتجلى المبادئ بنور ربها، وتبدأ النفس تطهر شيئًا فشيئًا، حتى تتغير ملامح العبد، وتصبح الجوارح صادقة وخاضعة له، مستمدة من ربها العون والثبات، ثم تظهر أنوار الوحي والحكمة على لسان العبد، لأن الباطن أصبح طيبًا ونقيًا.

«اللهم ارزقنا صلاح الباطن والظاهر».

* * *

29/ ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ «سورة آل عمران: الآية (190 – 191)»

هذه آيات التفكر والتأمل، في هذا الكون الفسيح العظيم، ذهاب النهار، وحضور الليل، يجعلك في تفكر وتعجب، ولكن مشاغل الحياة، والبحث عن الرزق، أصبحت العقول غافلة عما يدور حولها من عجائب خلق الله عز وجل، وعقب آية التفكر جاءت آيات صفات المؤمنين المتقين، أصحاب الذكر، وقيام الليل، هؤلاء هم من يرزقهم الله، التأمل، والتفكر، واليقين في ملكوت الله، لأن

التفكر عبادة، يعقبها تعظيم وتوقير للخالق، بحيث إذا رزق العبد التفكر، فليعلم بأن ذلك كان، بتوفيق الله، ثم بتلك العبادات والأذكار، التي كان يداوم عليها؛ لأن كثرة الذنوب، وعدم التوبة، والشرك قد تحرم الإنسان من عبادة التفكر.

وللتفكر ثمرات، منها الهداية والإيمان، وخشوع القلب، وخشية الله، ومتعة للنظر، ولذة في العقل، وبهجة في الروح، لقد كان نبينا إبراهيم عليه السلام، صاحب تفكر وتأمل في الكون، وقومه محرومون منها، لسوء معتقدهم وضلالة فكرهم بعبادة الأصنام، والوقوع في الشرك، وكلما سعت النفس من طلب الخير والحق، رزقت من التوفيق واليقين والتفكر في ملكوت الله، فلا تحرم نفسك عن لذة وعبادة التفكر، واجعلها ضمن حياتك، فإنها توهبك زيادة في الإيمان ورجاحة عقلية.

* * *

30/ ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينُ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾ «سورة النساء: الآية (8)»

من أراد أن يعرف حقوق الإنسان، والمفاهيم الأصيلة في جبر الخواطر، عليه أن يتأمل هذه الآية العظيمة، في توزيع القسمة والنصيب، لمن يستحقها من الورثة، ثم يعطى من كان حاضرًا تلك القسمة، وهو ليس ضمن المستحقين لها، ولكن، جبراً لخاطره، وتقديرًا لمشاعره، انظر وتأمل سعة كرم الله، هؤلاء ليس لهم شأن وحق في الإرث فقدر لهم الرزق، فكيف بمن يكون في بطن أمه، وكيف بمن لم يجد مأوىً!، أبشر برزق الله، لا تقلق، فالذي أوجدك وأذن بحضورك في كونه الفسيح العظيم، قد قدر لك رزقك، وعلينا أن نلتمس الخلق الحسن من هذه الآية الكريمة، ونقدر ونشعر بمن حولنا، ونسعى لبعضنا بما نستطيع، بالصدقة، بالصلة، بزيارة المريض، فالمسلم أخو المسلم، وأن تكون العطايا والصدقات، بنفس راضية، ووجه طلق، بلا تجريح ولا تعيير، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾ «سورة الضحى: الآية (11)»

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ وقال: ﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾

قال النبي ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسْلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة». أخرجه البخاري.

* * *

31/ ﴿فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ «سورة النساء: الآية (19)»

عَنْ أبي يَحْيَى صُهَيْبِ بْنِ سِنَانٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «عَجَباً لأمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لأِحَدٍ إِلاَّ للْمُؤْمِن: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خيْراً لَهُ». رواه مسلم.

كثير من الأمور قد يكون ظاهرها لا يناسبك، وتجد نفسك غير راضية لبعض ما يحصل لك في شؤون حياتك، ولكن الخير والفلاح فيما قدره الله واختاره لك، تأمل والداك فأنت لست من اخترتهم، أمور كثيرة ليست بيدك، فالذي عليك أن تتعايش وترضى، ولن تجد الراحة إلا في الرضا والإيمان والقناعة بالأقدار الربانية، نحن في ملكوت الله وتحت رعايته، فعلينا بالتحلي بالأدب تجاه أقدار الله، وندرك بأن عدم الرضا أو الرضا لن يغير شيء، الأمور كلها مقدرة، والسعيد من آمن بربه وسعى ورضي بالله ربًا.

فقد جاء في حديث أبي سعيدٍ الخدري: أنَّ النبي ﷺ قال: «مَن قال: رضيتُ بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ رسولًا؛ وجبت له الجنَّة».

«رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًا».

* * *

32/ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴾ «سورة النساء: الآية (29)»

نداء من الخالق لعباده المؤمنين، بحرمة المال الحرام كالسرقة وبقية المحرمات، والأكل الحرام، وتشير الآية على مبدأ عظيم في المعاملات والبيع، بأن تكون التجارة على التراضي بين الطرفين بدون إجبار وإكراه في البيع والشراء، والنهي عن قتل النفس وتحميلها ما لا تطيقه كفعل الحرام أو الايذاء بالنفس، لأن نفسك أمانة من الخالق، ليس لك الحق أن تعبث بها وتوردها المهالك، ربما لك والدان ينتظرانك، فاحذر أن تفجعهما، أو لك أسرة تنتظرك، فابذل جهدك واسعَ وارضَ بما كتبه الله.

التأمل في صيغة هذه الآية، لا تأكلوا أموالكم عبر الحرام بالأكل، لأن الغرض من كسب المال تأمين لقمة العيش والرزق والتملك، والمسكن، فإذا كسب العبد المال الحرام وقام بشراء الطعام له ولأهله فهذا هو المنهي عنه، ولا يخفى علينا بأن للمال الحرام عقوبات منها، شؤم المعصية، وكدر وضيق في الحياة، من أبرزها عدم استجابة الدعاء ومحق البركة، والله المستعان.

سأل سعد بن أبي وقاص رسول الله ﷺ: كيف أكون مستجابَ الدعوة؟ قال النبي ﷺ: «أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ». (رواه الطبراني).

«أطب مطعمك، تكن مجاب الدعوة».

* * *

33/ ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾ «سورة النساء: الآية (36)»

عن عبد الله بن مسعود أنه سأل النبي ﷺ: أي العمل – أو أي الأعمال– أحبُّ إلى الله؟ قال: «الصلاة على وقتها» قال: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين» قال: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» متفقٌ عليه.

حق الله هو الأول والأعظم، أن نعبده ونؤمن به، ولا نشرك به.

لو تأملنا جميع آيات القرآن التي تتحدث عن بر الوالدين نجدها تقترن بعد آيات التوحيد، وهذا لتعظيم حقهما من المولى الرحيم. الدين الإسلامي قائم على ترابط وعلاقة قوية في بناء المجتمع والفرد، وحتى ندرك بأن حق الوالدين عظيم، نتأمل جميع آيات البر بالوالدين تأتي عقب آيات العقيدة والعبودية؛ لكي نوقن بأن القوانين الشرعية سبقت جميع القوانين الوضعية، وهي شاملة وكافية، لأنها صادرة من رب البشر، الذي يعلم مصالح عباده الحقيقية.

ومما لا يتصور، أن يكون الشخص معروف بدينه وعلمه ومكانته، ثم يكون بعيد عن إجلال والديه أو غير بار بهما، تيقن بأن

التوحيد هو أساس هذا الكون، ومن أجله أُرسلت الرسل، ونصبت القبلة، ومع ذلك تأتي آية البر بالوالدين بعد توحيد الله مباشرة، فأي تعظيم مثل هذا!.. فالوفاء الحقيقي والتدين السليم هو برك بهما والإحسان إليهما، فلا توفيق ولا فلاح لمن كان عاق لوالديه، وحتى تُعان على البر، عليك بالصبر وعدم انتظار المقابل، لأن الوالدين بشر قد تجد منهما ما لا يسرك، فاحتسب أجرك على ربك، وأبشر فإن فاعل المعروف لا يضيعه الله.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (رضى الرب في رضى الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد﴾ رواه الترمذي.

«أحسن إليهما، كما أحسنوا لك، وتأمل في صغرك حاجتك لهما».

* * *

34/ ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا﴾ «سورة النساء: الآية (38)»

قال ﷺ:

«إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى» رواه البخاري ومسلم.

الله المستعان، هناك من ينفق ويكسب الأجر، وهناك من ينفق ويخسر، وهذا يدل أن الباطن وتجديد النية من أكد وأعظم الأمور،

حتى في الإنفاق لا بد من تصحيح التوحيد لكي يتقبلها مولاك، فالذي أمرك بالنفقة أمرك أيضًا بالإخلاص له وعدم الرياء، الناس بشر لا يملكون جنة ولا نار، يمدحونك اليوم، يذموك غدًا، ولا سبيل لمرضاة الناس، علق قلبك بالله، واستعن به، مفتاح الرزق، وملكوت السماء والأرض بيده سبحانه وتعالى، فاحذر أن تعتاد نفسك ترقب الآخرين.

أخي الكريم، طهر مالك عن الشرك الخفي وهو الرياء، لا تخدعك نفسك، لأجل سمعة مؤقتة، يجب علينا أن نجاهد هذه النفس بتجريدها لله، فتبقى الحركات والسكنات لله، أيضًا، طهر مالك عن البخل والسمعة، لكي تنال البركة في الدنيا والأجور العظيمة يوم القيامة بإذن الله، طهر مالك من مكائد الشيطان، لأن العبد يود أن يتصدق فيأتي الشيطان يزرع فيه حب المدح ونظرة الآخرين فلا يقدم خير إلا عند رؤية الناس، أو ربما يوسوس له بترك الإنفاق بحجة مخافة الوقوع في الرياء، وهذا من تلبيس إبليس أيضًا، وهذا بلاء، يجب أن يتضرع العبد لربه ويسأله الإخلاص دومًا، لأن الإخلاص عزيز، ويصعب معرفته، فعلى العبد أن يوطن نفسه بعد كل عبادة، يسأل ربه أن يتقبلها ويشكره عليها، مع عدم الوسوسة في ذلك، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، فلا ثواب إلا بنية صالحة خالية من شوائب الشرك.

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ «سورة الإنسان: الآية (9)».

يقول أحد العارفين بالله:

«ما ارتفع شيء إلى السماء أعظم من إخلاص العمل لله، وما نزل شيء إلى الأرض مثل التوفيق، وبقدر الإخلاص يكون التوفيق».

قال عبد الله بن المبارك رحمه الله: «قل لمن لم يخُلص لا تتعب».

«فالنقي الموفق، كرمه أصالة وديانة، وليس سُمعة أو رياء، فالجنة لمن أخلص لربه».

* * *

35/ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ «سورة النساء: الآية (49)»

المدح الذي لا يُطلب، أو الذي يأتي من الآخرين، وليس من ذات الشخص نفسه، تقبله النفوس، أما الذي يمدح نفسه أو يطلب أن يمدحه الناس، فهذا لا يليق، لمن عُرف بدينه وصلاحه، وقد يقدح في صدق نية العبد، لا سيما إذا كان الأمر يتعلق بالعبادة، فالعاقل يبني مجده ويجتهد في دينه ودنياه، ولا تركن نفسه أو تميل لمدح أحد، لأن التعلق بغير الله، يعيق صاحب الهمة عن السير في طريق الخير، وحتى تطمئن النفوس، عليها أن تعلم، بأن المولى لا يعامل

الناس بالظاهر، لأن نظر المولى في باطن وقلب العبد، فلا تنوي إلا خير، ولا تتعلق بالناس، ولا تمدح نفسك كثيرًا، وهذا لا يعني أن الإنسان يظلم نفسه، ولا يقدرها، بل ينمي فيها الوعي، وتطوير الذات، والثقة بالنفس، ويكرمها بمعالي الأمور كالعبادة والعلم وغيرها من الفضائل، ويبعدها عن سفاسف الأمور، مع أخذ الحيطة والحذر، بعدم الغرور والكبر.

* * *

36/ ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ «سورة النساء: الآية (66)»

فلاح العبد وثبات دينه، وضمان الخيرية والجزاء، إذا كانت أفعاله تسبق أقواله،

تضمنت الآية بيان حالهم الحقيقي، بأن المولى لو فرض عليهم الأوامر، لن يمتثلوا، ولن يفعلوا، تأمل معي هذه الآية، ﴿إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ﴾، بمعنى أن من يستجيب لأمر ربه ورسوله وطاعته، في الغالب يأتي ذكرهم في القرآن بأن عددهم قليل، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ وغيرها، حتى ندرك بأن الكثرة ليست دليل على الحق، أو القبول، أو النجاح، وأرشدنا المولى، بأن الخير والثبات في الدين، يكون لمن سمع النصح وعمل به، فالخيرية والبركات في

تطبيق ما تعلمته، من سماع موعظة أو غيرها من طرق الخير، فإن ذلك يدل على صدق الإرادة، وطلب التغيير الحقيقي للنفس.

* * *

37/ ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾

«سورة النساء: الآية (69)»

طاعة الرسول ﷺ من طاعة الله عز وجل، ولكي ينال العبد هذه المنزلة والنعمة الربانية، ويفوز بمرافقة الأنبياء في الجنة صلوات الله وسلامه عليهم، عليه بأن يكون صادقًا في قوله وفعله، كل الفضائل تبدأ بالصدق وصلاح النية، وتأمل معي الآية الكريمة، جاءت صفة الصدق، قبل جميع الأعمال الصالحة، لأن الصدق شعار الأنبياء، والأوفياء، فلا تنال الشهادة في سبيل الله، ولا العمل الصالح، إلا بصلاح النية والصدق مع الله، فالصدق يدل على صحة إخلاص نية العبد، وإيمانه بربه ورسوله، وكان ﷺ، يلقب بالصادق الأمين قبل نبوته، ولذلك ارتبط اسم الصحابي أبو بكر بالصديق رضي الله عنه، بهذا اللقب، لأنه كان يصدق أخبار السماء والأرض من النبي ﷺ ولا يتردد، فعليك أخي الكريم بالصدق فإنه يبني سيرتك بالحسنى، وسمعتك بالخير، فالعظماء كانوا صادقين مع أنفسهم، ثم يظهر أثر صدقهم على أقوالهم وأفعالهم، وبالصدق يرزق العبد محبة الله،

والأخيار والصالحين، أما المنافقين لا تنجذب قلوبهم، إلا لمن تشبه بهم بالخداع والمكر والعياذ بالله.

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، ومَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ ويَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وإِيَّاكُمْ والْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، ومَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ ويَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: حينما بويع للخلافة: (أيها الناس، إني قد وليت عليكم، ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوِّموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة) رواه الطبري في التاريخ.

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: «مَن عَلِم الله منه الصدق، أعانه وهل أراد اللهَ أحدٌ بصدق، فلم يُرِده».

❋ ❋ ❋

38/ ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾ «سورة النساء: الآية (82)».

الغاية من نزول القرآن، هي التأمل والتفكر، وتلاوته، والعمل به، أمرنا المولى بالتدبر، وأخذ العظة والعبرة والفائدة من الأمم

السابقة، وتصديق نبوة نبينا محمد ﷺ، فالقرآن كتاب عزيز، لا يأتيه الباطل، فلو كان للكفار عقل وإدراك للعواقب، لاستمعوا لكلام الله، وأنصتوا، حتى يصلوا إلى اليقين، فالقرآن معجزة وهداية، صالح لكل زمان ومكان، لأنه نزل من الخالق، الذي خلق العقول، ويعلم ما ينفعهم وما يضرهم، وكل شيء مقدر، لذلك لو كان من عند غير الله، لوجدنا فيه اختلافات كثيرة.

* * *

39/ ﴿ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ «سورة النساء: الآية (108)».

ترشدنا هذه الآية بمراقبة الله عز وجل، في السر والعلن، وجميع الأحوال؛ لأنه معهم ومطلع عليهم، فإذا راقب العبد ربه، في قوله وفعله، وبقية أموره، لطهرت نفسه، وكان له رادع يردعه عن المحرمات، وأكل الحرام؛ لأن مراقبة الله هي من مقاصد التوحيد وسلامة المعتقد، فعلى العبد أن يوطن النفس على النوايا الصالحة، والأعمال الفاضلة، فهناك رب يجازي على النية قبل فعلها بكرمه وجوده، ولنحذر من مخالفة الله ورسوله ﷺ، فلا نجاة ولا توبة بعد الموت والله المستعان.

راقب ربك في عبادتك واحذر من الرياء، راقب ربك في عملك

وكن أمين، راقب ربك في تعاملك مع الناس، لأنهم سيحكمون على دينك من خلال تصرفاتك.

«فمن راقب الله نجا وسعد».

* * *

40/ ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ «سورة النساء: الآية (142)».

المنافق لأن قلبه متلون وفارغ من الدين والصواب، تجده لا يستطيع القيام بما أمره الله، لأن صدق نية العبد تعينه على أداء الفرائض، فالمنافق خسر نفسه وحياته ودينه، لأن قلبه متلون وفارغ من الدين والمصداقية.

فالمنافق نفسه خبيثة، بعيدة عن اتباع الحق، فهو يعيش على مدح الناس له بالباطل، وتحسين نفسه أمامهم، وهذا من خداعه، والكسل صفة مذمومة، تمنع عنك السمو ومعالي الأمور، وكان النبي ﷺ، يتعوذ منها في الصباح والمساء

قال تعالى: ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ أي بأنه، عالم بحالهم، وتاركهم، ويستدرجهم، ولكن في الآخرة عذابٌ شديد.

* * *

41/ ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ «سورة المائدة: الآية (2)»

هذه الآية اشتملت على معاني راقية، تعزز من ترابط المسلمين والتكاتف، وزيادة الألفة والخير بينهم، مع تجنب المعاصي، والحسد، والكراهية بينهم، لذا أخي الكريم؛ أظهر الخير والصلاح وحُسن الخلق، دائمًا أمام أسرتك، والأصدقاء، فهذا من البر، لأن هناك أناس، جُبلت نفسه، على فعل الخير بالتشجيع والتحفيز من خلال الآخرين، مع الاعتدال ومراعاة الإخلاص، ولا تظهر أو تذكر سوء أفعالك، أو معصيتك، أو ماضيك السيء أمام الآخرين، خصوصًا لو كانوا صغار في السن، صحيح بأن نية الداعي هي توعية الناس وإرشادهم، ولكن قد تنجذب بعض النفوس الضعيفة، وتفتح لها مدارك، لم تكن في الحسبان، فتجده يترك الغاية من القصة، والجانب الإيجابي، ويذهب فكره وخياله لأمر سوء والعياذ بالله؛ لذلك الحكمة تقتضي، أن تكون طريقة الداعية على بصيرة، ويدل الناس على الخير دون المبالغة، في ذكر بعض القصص والتعمق فيها، وينوي بذلك تطبيق الآية الكريمة، وإرشاد الناس إلى الدين بهدي القرآن والسنة، مع توصيل الرسالة والموعظة، بطريقة هادفة وجاذبة، ومعتدلة.

قال النبي ﷺ: «من دل على خير، فله أجر فاعله» رواه مسلم.

* * *

42/ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾ «سورة المائدة: الآية (6)»

تشير الآية إلى وجوب الطهارة، عند القيام إلى الصلاة...

لأن الطهارة مفتاح الصلاة، ولأن العبد سيواجه ربه، ويتلو أعظم الكلمات، ولكي لا يؤذي الملائكة الكرام، فمن الأدب الحرص على حُسن الاستقبال في بيوت الله، علمنا رسول ﷺ الحرص على سنن الفطرة، شأن النظافة عظيم، على المؤمن مما يعود عليه بالنفع والذوق العام، فالشخص الراقي يحرص على تهذيب ذاته، حتى تقبله النفوس، ولا تتأذى منه، فكم من أشخاص يجهلون أو يهملون العناية بالنظافة، وقد يؤذي المصلين بالرائحة الكريهة، وعدم الخشوع في الصلاة، ولكن العاقل المهذب يحرص على لبس الجميل والأنيق، واستعمال السواك، كل ذلك من السنة.

وللطهارة ثمرات عديدة تجدها في نفسك بالطاقة الإيجابية، وتشعر براحة في داخلك، وتخفف عليك من إرهاق اليوم، وتخفف عنك القلق، وأذى الشياطين، لأنه يسهل عليهم الإنسان الغير طاهر، وتزيد ثقتك بمظهرك، احرص أيضًا على نظافة الأسنان، وتطهير الأماكن الخاصة، والتي أوصى الإسلام العناية بها والاغتسال والنظافة عامةً، مع مراعاة الاعتدال، وعدم المبالغة في ذلك، حتى لا يصل إلى الوسوسة والضرر على النفس.

عَنْ أَبي هُريرةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خمْسٌ مِنَ الفِطرةِ: الخِتان، وَالاسْتِحْدَادُ، وَتقلِيمُ الأَظفَارِ، ونَتف الإِبطِ، وقَصُّ الشَّارِبِ». مُتفقٌ عَلَيْهِ.

عن عثمان بن عفان – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء، خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره». رواه مسلم

قال الميموني رحمه الله:

«ما رأيت أحدًا أنظف ثوبًا ولا أشد تعاهدًا لنفسه في شاربه وشعر رأسه وشعر بدنه ولا أنقى ثوبًا وأشدَّ بياضًا من أحمد بن حنبل». الآداب الشرعية 14/ 2.

قال مكحول الشامي: «عليك بالطيب فإنه من طاب ريحه زاد عقله، ومن نظف ثوبه قل همه».

* * *

43/ ﴿ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ «سورة المائدة: الآية (8)»

العدل من أساسيات الدين والحياة، تأمل أغلب التوجيهات الاجتماعية، في كتاب الله، والتي يوصي بها المولى عباده، فمثلًا إذا أراد الرجل أن يتزوج الثانية علق ذلك الباري بالعدل، كذلك الحاكم، كذلك المربي، والقائد في عمله، ولم يأمرهم المولى في

بداية الأمر بالإيمان أو الصلاة، لأن الطاعة تفيد صاحبها في المقام الأول، ولكن العدل صفة يتمثل بها، غالبًا من لديه سلطة، على الآخرين؛ لذلك يحرص العبد الذي أتاه الله الخير والرزق وقيادة الناس، أن يكون متصف بالعدل والتقوى.

* * *

44/ ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ «سورة المائدة: الآية (12)»

تضمنت الآية العظيمة، أهم أمر في حياة المسلم، الذي يحدد إسلام العبد

وأيضًا تضمنت، الآية معية الله، ونصره لعباده، إذا أقاموا الصلاة كما أمرهم الله،

فالصلاة هي الصلة والتواصل بين العبد وربه، وهي الركن الثاني، وهي الفرق بين المسلم والكافر، تأمل معي جميع العبادات فرضت في الأرض، إلا الصلاة فرضت في السماء، ودار النقاش بين النبي موسى عليه السلام، ونبينا محمد ﷺ، على التخفيف، وهذا يدل لعظم حقها، وأنها من أهم الأسس، عند ربنا، على العبد أن يحاسب نفسه على هذه الفريضة، ويعلم بأن الله معه إذا حافظ عليها، وعلينا أن نخشع عند أداء الصلاة، لأنك أمام خالقك ومولاك، فالخشوع يجعل النفس تطمئن، وتذوق حلاوة الإيمان والطاعة.

والخشوع في الصلاة، يجعل النفس تشتاق للصلاة الأخرى، وهذه ثمرات قبولها بإذن الله، والركن هو ما يعتمد عليه، والصلاة عماد الدين، وهي نور يستمد العبد منها الإعانة من ربه، وبها يبارك في الرزق والأولاد، وبها تفرج الهموم، وبها ينزل الغيث، وبها ينصر الحق، وبها تنال رحمة الله والجنة بإذن الله.

* * *

45/ ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ﴾ «سورة المائدة: الآية (18)»

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «لا تزال الذنوب تزيل النعم نعمة، نعمة حتى تسلب النعم كلها» [«طريق الهجرتين» (2/ 588)]

قال ابن القيم: جاء في المسند: (إن العبد ليُحرم الرزق بالذنب يصيبه)، وكما أن تقوى الله مجلبة للرزق، فترك التقوى مجلبة للفقر.

تأمل أخي المسلم، خطورة الذنوب، وتأثيرها السلبي على النفس والحياة والبشر، يخبر المولى بأن الذنوب، هي سبب للعذاب، ومن شؤم الذنوب، قلة التوفيق، وعدم البركة في الرزق، والعبد الموفق تجده، يبحث عن سبل النجاة، ومحو الخطايا، وخير النجاة والفوز، في التوحيد والإيمان بالله، وإخلاص النية، وفعل الطاعات وترك المعاصي، مع العلم بأنه لا يوجد أحد معصوم من الذنوب، ولكن العبد الذي يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه، لن

يغفل عن كثرة الاستغفار في يومه، والتنوع في الأعمال الصالحة، فمن سعى واجتهد نال رحمة ربه.

قال الشاعر:

إذا كنت في نعمة فارعها ... فإن المعاصي تزيل النعم

وداوم عليها بشكر الإله ... فإن الإله سريع النقم

* * *

46/ ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ «سورة المائدة: الآية (27)»

قال ابن عمر: «لو علمتُ أن الله تقبل مني سجدة واحدة أو صدقة درهم لم يكن غائبٌ أحبَّ إليَّ من الموت: (إنما يتقبل الله من المتقين)». [الدر المنثور]

الله المستعان، قبول الطاعة وثوابها، أشغلت نفوس الصالحين الصادقين، بل بعضهم قلوبهم وجلة، مخافة أن يدخلها الرياء أو العجب في أعمالهم.

فالمتقي: هو الذي جمع بين الخوف والرجاء من ربه، وإخلاص العبادة له، ومحبته، وصدق في قوله وفعله بالعمل الصالح، فأصبحت حياته لله، وفي الله، لذا يجب أن نعلم بأن لكل شيء مبدأ، والأعمال الصالحة رأسها الأول، تقوى الله، بأن يربي المؤمن نفسه، ويكون على حذر، من محبطات الأعمال، وخير التربية هي

اللجوء إلى الله بالدعاء، بأن يجعلك من المتقين، ويزيدك من فضله ويتقبل منك، لأنك تريد مرضاته، فلا يتصور عبد يريد أن يكون من عباد الله المتقين، وهو لا يسأل ربه هذه المنزلة الرفيعة، فالموفق يسأل ربه الإعانة والسداد قبل أداء العبادة، وبعد فراغه منها يسأل ربه القبول.

وكان الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، يسألون ربهم أن يبلغهم شهر رمضان قبل بلوغه بستة أشهر، وبعد إتمام الشهر يدعون ربهم أن يتقبل منهم، فاحرص على دأب السبق الأول، وسر على نهجهم.

***

47/ ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ﴾ «سورة المائدة: الآية (49)»

رب البشر يأمر نبي البشر، بأن قوانين السماء، هي الأنفع للعباد، فلا يتبع منهج غير الذي أنزله الله، ولا يلتفت لما تميل له رغبات البعض، أو النفوس التي بها ريب، وأن يكون الحكم بينهم بالكتاب والسنة، يقول الله: ﴿وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ﴾.

تأمل معي... نبي له العصمة، ويتم تحذيره من زيغ وضلالة من حوله، لذلك يحذر الشاب من مجالسة أناس ليست لهم قيم، أو

ديانة، لا سيما في هذا الزمن الذي انتشرت فيه أمور تضر المسلم في دينه وتربيته، فاختر الأصدقاء بعناية وحذر، وإياك والفضول في بعض المواقع، قد تجد منشور أو مقطع مرئي ظاهره خير، ولكن عواقبه وخيمة، قد تضرك في دينك ومبادئك، أو تغرس فيك الشبهات والشكوك، وأنت لست محصن بالعلم، بل حتى لو كنت محصن بالعلم، فابتعد عنها، فالسلامة لا يعدلها شيء.

«اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك».

* * *

48/ ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ «سورة المائدة: الآية (85)».

ثق بأن نيتك الطيبة، لن تضيع ولا أقوالك ولا أفعالك، فمعك رب كريم، يجازي على القليل، فقدم لنفسك ما يحبه الله، وابتعد عما يغضبه.

انظر كيف صدقت قلوبهم، فصدق اللسان بالقول، فصدق المولى معهم بجنات ونهر.

تأمل كرم الله ورحمته الواسعة إذا كانت النوايا صادقة، متجهة لربها، نالت من فيض رحمته ما لا يخطر على البال، تأمل معي الجنة التي يتنافس الأخيار، من أجلها، ثم يجدها هؤلاء بصدق الكلام، وإيمانهم الحقيقي، لذا فضل الله واسع، والمحروم الذي لا

يقدم شيء، وهذه الآية تؤكد لنا بأن طيب الكلام ربما يرفع العبد إلى مقام عظيم عند ربه سبحانه وتعالى.

قال ﷺ: (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ تَعَالى مَا يُلقِي لهَا بَالًا يَرْفَعُهُ الله بهَا دَرَجاتٍ، وَإِنَّ الْعبْدَ لَيَتكلَّمُ بالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ تَعالى لا يُلْقي لهَا بَالًا يهوِي بهَا في جَهَنَّم) رواه البخاري.

* * *

49/ ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ﴾ «سورة الأنعام: الآية (12)»

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (قال الله عز وجل سبقت رحمتي غضبي). رواه مسلم.

ألزم الكريم على نفسه الرحمة، قدم الرحيم رحمته قبل كل شيء، فاطمئن واسعَ لهذه الرحمة. من مهام النبي ﷺ، أن يبشر وينذر الناس، فهذه الآية بها من البشائر والسكينة، والبهجة الشيء الكثير إذا وسوس لك الشيطان بأنك مسرف في الذنوب، فذكره بهذه الآية، إذا داهمتك ذكريات الماضي الخاطئة، ذكرها بهذه الآية الرحيمة، إذا دب فيك اليأس والقنوط، فقل لهما كتب ربِ على نفسه الرحمة.

واعلم أخي الكريم، أن ما عند الله من الرحمة والمغفرة، لا ينالها إلا من آمن وعمل صالحاً، فالجزاء من جنس العمل، فارحم تُرحم، اعطف يُعطف عليك، اجعل الرحمة حاضرة في حياتك ومع الناس، لا تظن بأن الرحمة تنزل على إنسان غليظ سيء الخلق، إنما تنزل على الراحمون الكرماء.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ) رواه الترمذي وأبو داود.

* * *

50/ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ «سورة الأنعام: الآية (27)»

تبين الآية مصير وحال الكفار يوم القيامة عند رؤية النار، والمصير الأبدي، والحسرة العظيمة على نفوسهم، والعقاب النفسي الذي يشعرون به عندما علموا حينها بأن الرسول حق والساعة حق، وأن الجنة حق، والنار حق، حينها يتمنى الكافر أن يكون ترابًا، ويتمنى أن يعود إلى الدنيا لكي يعمل الصالحات، ولكن هيهات قد قضي الأمر، وجاء الإله والملك للحساب، فأي حسرة وأي ألم مثل ذلك!، فلا عودة ولا توبة سوى في الحميم يسجرون، تأمل في قول الله «ولو ترى»، هناك إخبار وتهديد لطيف في هذه الآية، أي لو تعلم يا محمد إذا جاء يوم القيامة، سترى كيف الندم والتمني ظاهر على حالهم.

تأمل أيضًا أمنية الكفار، للصحبة الصالحة المؤمنة عند عودتهم إلى الدنيا، مما وجدوا أثر الرفقة الصالحة في رفع الدرجات والحسنات يوم القيامة، فالمرء مع من أحب، وأعظم الحب حب النبي والصحب الكرام.

عنْ أَبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «لا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلا يَأْكُلْ طعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ» رواه أَبُو داود والترمذي بإِسْنَادٍ لا بأْسَ بِهِ.

* * *

51/ ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ «سورة الأنعام: الآية (28)»

تشير الآية بيان حقيقتهم، عند رؤية يوم القيامة والعذاب، يريدون العودة للدنيا للعمل الصالح، وهو محال غير حاصل، ولكن المولى يؤكد لنا بأنهم كاذبون، أي أنهم لو عادوا للدنيا، لن يكونوا مؤمنين، بل كفار والعياذ بالله، بسبب خداعهم وعدم صدقهم،

هكذا هي النفوس الكاذبة، تقدم لهم الخير، وتتعامل معهم بالأخلاق الحسنة، ثم تجد منهم عدم الوفاء والصدق، لذا احذر أن تثق بالشخصية الكاذبة والمخادعة،

فالكذب صفة غير حميدة، ومن أضرارها فساد الدين والمبادئ والسمعة الحسنة.

* * *

52/ ﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ «سورة الأنعام الآية: (34)».

تضمنت الآية، ذكر حال الأنبياء السابقين، وما وجدوه من قومهم من الأذى والتكذيب، وكانوا ينتظرون نصر الله بالصبر عليهم، وهذه الآية تسلية وتصبير للنبي محمد ﷺ.

لذلك عليك أخي المسلم، أن تعلم بأن كل ناجح محارب هكذا

يكون طريق الناجحين، مليء بالعقبات والتحديات، تجد العقبات متنوعة، ولكن اجعل الصبر شعارك، والدعاء ديدنك، والأمل موقدك، والجنة أملك، ورضا الله غايتك.

* * *

53/ ﴿فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ «سورة الأنعام: الآية (42)»

قد تكون بعض المتاعب والعقبات في حياتك، هي تذكير وعلامة من ربك، بأنك تحتاج إلى توبة وعودة إلى ربك ودينك، أو لرفع درجاتك، فتش في أحوالك فلعل هناك أمور تحتاج إلى استغفار، تحتاج إلى صدقة، فالمولى يرسل للعبد إشارات تحذيرية، وقد يمتحن العبد ببعض البلايا والهموم، حتى يتضرع العبد ويدعو ربه بالعفو وذهاب ما به، فالله يغضب من عبده الذي يعيش بلا استعانة وتوكل ودعاء، فأين العبودية إن لم تسأل ربك حاجتك في الدنيا والآخرة، فالدعاء تاج وسلاح المؤمن، كم من النعم والخيرات كان سببها الدعاء، كم من هموم وأمراض فرجت وشفيت بالدعاء.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ لم يكتفِ فقط بالإجابة سبحانه، بل قال فإني قريب، يرسخ المولى لعباده المعية والعناية بهم إذا لزموا عبادة الدعاء.

قال النبي ﷺ: (من لم يسأل الله يغضب عليه). رواه الترمذي

لاَ تَسْــأَلَنَّ بنــيَّ آدَمَ حَاجَــةً وَسَلِ الَّـذِي أَبوَابُه لاَ تُحْجَب

اللهُ يَغْضَــبُ إِن تَركْـتَ سُـؤَالَهُ وَبنيُّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَـبُ

* * *

54/ ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ «سورة الأنعام: الآية (44)»

هذه الآية تبين لنا بأن نعيم الكفار في الدنيا، هو استدراج بهم، لكي يطمئنوا، ولا يشعروا بأي تحذير من الخالق على كفرهم وعصيانهم، لأن الدنيا دار عمل، والآخرة دار حساب وعذاب، والدنيا جنة الكافر وسجن المؤمن، فإذا سعد الكافر واطمأنت نفسه وطغى وتجبر، نزل أمر ربك بالعقوبة وخسر الدنيا والآخرة، فلذلك لا تحزن عندما ترى نعيم الكافر، فليس له حظ في الآخرة.

قال رسول الله ﷺ: وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتَ اللهَ تَعَالى يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا مَا يُحِبُّ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعَاصِيهِ فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْهُ اسْتِدْرَاجٌ».

وقال ابن عباس: «سنمكر بهم».

استوقف رجلٌ يهودي فقير، الحافظَ ابن حجر العسقلاني - رحمه الله - في السوق، وكان ابن حجر قد خرج بأجمل حلّة،

وأبهى منظر، فسألهُ اليهودي يا شيخ الإسلام، تزعم أنّ نبيّكم قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، فأي سجن أنتَ فيه وأي جنة أنا فيها

فأجاب ابن حجر رحمه الله:

فقال الحافظ: «أنا بالنسبة لما أعده الله لي في الآخرة، من النعيم كأني في سجن، وأنت بالنسبة لما أعده الله لك فيها من النكال والعذاب المهين كأنك الآن في جنة، فأسلم اليهودي».

* * *

55/ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ «سورة الأنعام: الآية (90)»

لا يخفى علينا أن القداسة، والمكانة العلمية والعملية، تكون دائمًا لمن سبقنا في العمر أو الدين أو في أمور الدنيا، ونجد له تقدير وإجلال من الناس، لما يحمله من خبرات وتجارب ضمن حياته العمرية السابقة، فمن باب أولى أمور الدين، لا سيما مسائل العقيدة، والحلال والحرام، يجب على المسلم اتباع هدي الأنبياء، والصحابة ومن تبعهم، مثل ما ذكرت الآية الكريمة، وصى المولى نبيه ﷺ، بالسير على سلف إخوته الرسل السابقين، والاقتداء بهم، فمن أحب النبي بصدق اقتدى به، والعاقل الموفق لا يتبع هواه أو الضلال، ولو كان من أقرب الناس له، فلا سبيل لطريق الحق

المستقيم إلا عن طريق هؤلاء الرسل عليهم السلام، فالقدوة شأنها عظيم، في بناء الأجيال بالمعرفة، والحكمة وفقه الواقع، وعلى المربي أن يغرس في نفسه، مبدأ القدوة ويرسخ في فكره المسؤولية تجاه نفسه، حتى يكون أمام طلابه محل ثقة ومرجع لهم فيما ينفعهم، فكم من عالم تعلم الآخرين منه، دون أن يصرح لهم بكلمة أو توجيه، فقط بحسن هيئته وبخلق العلماء الربانيين.

* * *

56/ ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ «سورة الأنعام: الآية (94)»

جاء العباد ليوم المعاد، وتم البعث فلا عودة، وذرفت العيون بالدموع والندم، وقال لهم ربهم أتيتم فرادى، أين ذهبت قوتكم؟، أين الآلهة التي كنتم تعبدونها؟، فلا شيء معهم من متاع الدنيا ذهب معهم، فلا ناصر لهم يومئذ، بعثوا كم خلقوا، وجاء المؤمنون يستبشرون بكرم الله، وبما أعده لهم، لذلك كلما تذكر العبد، يوم القيامة وأنه محاسب من ربه، اجتهد في العبادة وهانت عليه الدنيا، فاللهم رحمتك نرجو، ولجنتك نسعى، فأكرمنا بفضلك الواسع.

* * *

57/ ﴿قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ﴾ «سورة الأنعام: الآية (104)»

اتباع الحق وطريق الهداية، لهما ثمرات عديدة، منها الحياة السعيدة في الدنيا والنجاة يوم القيامة، فأبصر هدى ربك، فالعاقبة لمن اتقى وأبصر، ومن ترك طريق الهدى فهو الخاسر، لأنه ظلم نفسه بعدم الإيمان ودخول الجنة، وما على الرسول إلا البلاغ.

* * *

58/ ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ «سورة الأنعام: الآية (108)»

ليس كل خطأ يتم علاجه بخطأ مثله، والحكمة تقتضي تجاهل الجاهل، تأمل حكمة المولى نهى الرسول ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم، بسب أصنام المشركين، حتى لا يتعدى أحد منهم في سب المولى عز وجل، جهلًا منهم، رغم أنهم على ضلال وعصيان، ولكن الحكمة والتريث، والنظر في العواقب هي من مقاصد الشريعة، ومن صفات الداعية إلى الله، فالمرونة يحتاجها المرء في حياته، لاسيما إذا كانت المصالح أعلى من المفاسد، فالمشركين لا يعلمون عظمة الله، لفراغ قلوبهم من الإيمان، وعقولهم من العلم.

* * *

59/ ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ «سورة الأنعام: الآية (110)»

من أصعب الآيات التي كلما أمر عليها، أشعر بقلق، فلا يعلم الإنسان مصيره، ولا يغتر بعمله، نستودع الله أنفسنا هو حسبنا ونعم الوكيل.

تأمل الوعيد من الله، عندما ظن المشركون بأن هداية الإسلام ستكون كما يرغبون، وعند طلبهم بنزول الآيات، فتوعدهم الله بأن الهداية ليست بالحس البصري، ولا بما تهوى أنفسهم، بل تسليم وإيمان صادق، وهداية من المولى.

لذا على العبد أن يكون على حذر، ويكثر من الدعاء والتوبة، وسؤال الله الثبات.

عن أنس رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)، فقلت: يا رسول الله، آمنا بك، وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: (نعم، إِن القلوب بين إصبعين من أصابع الله، يقلبها كيف يشاء). رواه الترمذي وأحمد.

قال الإمام ابن رجب – رحمه الله –:

«سلوا الله الثبات على الطاعات إلى الممات، وتعوذوا به من تقلب القلوب ومن الحور بعد الكور، وما أوحش ذل المعصية بعد عز الطاعة». لطائف المعارف (399).

* * *

60/ ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ ﴾ «سورة الأنعام: الآية (112)»

كل ناجح محارب وهذا الأمر طبيعي، هناك تنافس محمود، وتنافس مذموم، ويفضل لمن يريد أن يصل لما يريده، أن لا يتحدث عن خططه أمام الآخرين حتى يصل، ولكي يحمي نفسه من بعض النفوس المريضة، ولكيلا يشعر بتشبع ورضا داخلي، يشعره بأنه وصل وهو لا زال في البداية، وعلى صاحب الهمة الاستمرار على غايته وهدفه النبيل، ولا يلتفت نحو الأعداء، ويدعو ربه بالإعانة والتوفيق، وأن يحميه من معوقات النجاح، حتى يجني ثمار جهده بإذن الله.

الآية فيها تسلية للنبي ﷺ وإخباره بأن سيكون له أعداء في طريق دعوة الناس إلى الدين، كما حصل لجميع الأنبياء السابقين.

❊ ❊ ❊

61/ ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ «سورة الأنعام: الآية (116)».

لا تلتفت نحو أي أمر يصدك، عن هدفك الحقيقي المبني على وعي وخطة واضحة، فالحياة مليئة بالمحبطين، الذين لا يتمنون الخير لغيرهم، على العبد الموفق أن يعزم على ما يريده من أموره، ويستعين بالله ويسأله التوفيق، مع الاستخارة والاستشارة بمن يثق

بهم، ثم يمضي، ولا يطع وساوس شيطانه أو حسد الإنس، فهذه الآية ترشد النبي ﷺ، بعدم طاعة الكفار، فهم ليس لديهم مبدأ ولا ديانة، لأن حياتهم ما بين الهوى، والظن الفاسد، والحسد، والعياذ بالله.

* * *

62/ ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ «سورة الأنعام: الآية (122)».

الموت هو عبارة عن نهاية الحياة، وانعدام الإحساس، كذلك من ضل عن طريق الإيمان بربه ونور القرآن، فهو ضمن المعدوم ليس له حياة حقيقة، لأن المؤمن يستمد قوة اليقين من ربه وبنور الوحيين، ويرزق حينها الحياة الطيبة، وأما الكافر فهو في ظلام داخلي وحيرة من أمره، بلا مبدأ ولا رب يعبده.

* * *

63/ ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ «سورة الأنعام: الآية (127)».

جنة الله هي دار الأمان والقرار، خالية من الهموم والمخاوف، عند دخولها ينقى المؤمن من داء الغل والحسد، فهي آمنة، لأن

الـدنيا جُبلـت علـى المشـقة والـبلاء، والجنـة جُبلـت علـى النعـيم والعطايا الربانية، فلا هم ولا خوف ولا حزن، وكل ذلك برحمة الله ثم بعمل العبد، فاعمل واسعَ، فالثمن دار السلام.

❊ ❊ ❊

64/ ﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ «سورة الأعراف: الآية (5)».

بعض البشر لا يتعلم ولا يعتبر، إلا إذا ذاق الألم، لكن العاقل الموفق، لا يرضى أن يكون ضحية، فالسعيد من اتعظ بغيره، والاعتراف الجميل يأتي في وقته ولا يؤجل، انظر حال الكفار تجدهم يعترفون عند آخر لحظة، بعد رؤية العذاب، ولو كانوا صادقين لما كذبوا الرسل، وآمنوا بهم في الدنيا.

* * *

65/ ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ «سورة الأعراف: الآية (31)»

نداء من المولى لعباده، بأن يكونوا على أحسن هيئة من اللباس والزينة، لأن الله جميل يحب الجمال، فالعبد كلما طهرت نفسه وطابت رائحته، انعكس ذلك على روحه وخشوعه في العبادة، ونال محبة المصلين، خلاف من لم يهتم بالزينة والرائحة الطيبة، نفّر المصلين منه، وتصبح الصلاة بقربه ثقيلة، وغير مرغوبة، وهذا أذىً للملائكة والمصلين

قال تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ ﴾

قال أحد السلف رحمه الله: «جمع الله الطب في نصف آية».

الإسراف هو مجاوزة الحد والمبالغة فيه، والإسراف مذموم على إطلاقه.

الطعام والشراب من أساسيات حياة الإنسان، وهو محبب للنفس، والله لا يحب عبده المسرف، فإذا أسرف الإنسان في الطعام أو الشراب، لم يستطع القيام بالعبادة، وربما ترغب نفسه للنوم، تأمل معي شمولية القرآن والسنة النبوية، يذكرنا الخالق بالاهتمام بالصحة وعدم الإسراف في الطعام والشراب، لكي نوقن بأن الدين جاء ليقيم حياة الناس بالتهذيب والتشريع.

* * *

66/ ﴿قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ﴾ «سورة الأعراف: الآية (38)».

تأمل خيانة الكفار بعضهم لبعض، عند رؤية جهنم، وعند اللقاء الأخير، الذي لا مفر منه أمام الجبار سبحانه، بل تمنوا أن يضاعف العذاب لمن كان سبب في كفرهم، حتى يحذر المسلم ويعلم، بأن لا خير فيمن ضيع دينه، ولا خير في صحبته، فمن نسي ربه سوف ينساك.

* * *

67/ ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ «سورة الأعراف: الآية (43)».

يؤكد لنا المولى عز وجل، بأن نقاء القلب وسلامته من الحسد والغل والتنافس المذموم، هو شعار أهل الجنة، فيحمدون الله على دخولها وهداية المولى لهم، مع الاعتراف بأن الفضل والمنة لله وحده، فهو الذي يهدي القلوب وينور العقول لطريق الإسلام، وجاءت الآية بصيغة الورث، ربما لأن أبو البشر آدم عليه السلام، خلق فيها، ورحمة الله شملت جميع عباده المؤمنين بدخول الجنة، ولكنهم في منازل ودرجات الجنة حسب أعمالهم ورحمة ربهم أيضًا.

* * *

68/ ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ «سورة الأعراف: الآية (56)».

المعاصي ليست محرمة فقط، بل لها أضرار على الإنس والكون والحياة عامة، نهى الخالق عباده بالفساد في الأرض، بالمعاصي وظلم العباد، بعد أن سخرها لهم، كذلك العبد المؤمن نفسه جُبلت على الفطرة السليمة، وتفسد نفسه إذا أهملها، وجعلها تنغمس في المعاصي مما يؤدي إلى فساد روحه، وعقله عن معرفة الخير من

الشر، لأن الذنوب إذا لم تدرك بالاستغفار والطاعات، يفقد العبد بصيرته وطريق الحق.

«فاللهم اهدنا وأصلحنا وارحمنا برحمتك الواسعة».

***

69/ ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ «سورة الأعراف: الآية (58)».

تشير الآية بأن الغيث والمطر يسهل في التربة النافعة، بخلاف الأرض الغير صالحة للمطر، تكون الثمرة شبه معدومة.

ولا زالت الآيات تخبرنا، بأن شر الإنسان وذنوبه، تضر من حوله من المخلوقات والجمادات، كلما كان المسلم لديه حرص على النوايا الطيبة والعمل الصالح، أثمر نفعها وعمَّ خيرها على بقية المخلوقات، بخلاف نوايا الكفار وعملهم السيء.

***

70/ ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ «سورة الأعراف: الآية (100)».

إذا أردت هداية الله وتوفيقه، وزيادة الإيمان، فاعتنِ بداخلك وصلاح قلبك، لن يسمع المرء الخير، ولن يوفق إليه، إذا كان أساسه باطل، طهر قلبك من الشرك والنفاق، والرياء والتكبر،

ورفض الحق، حتى يعينك ربك ويسهل لك الهداية، فإذا صلح الباطن استمعت الأذن وانتفع العقل، وظهر ذلك على الجوارح بالعمل الصالح والعطاء النافع.

قال ﷺ: (ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً، إذا صَلَحَتْ، صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ، فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألا وهي القَلْبُ). رواه البخاري.

* * *

71/ ﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾ «سورة الأعراف: الآية (123)».

إذا امتلأ قلب الإنسان بالمكر وعدم قبول الحق، يبدأ باتهام الناس بالباطل وتكذيبهم، لأنه غير مقتنع وقلبه معلق بالجاه والدنيا، وليس لديه نية حقيقة لكي يؤمن، تأمل في جبروت وعصيان فرعون، يعطل شخصية الآخرين، ويلزمهم، أن يأخذوا منه الإذن، وهذه سيطرة مبنية على الأنانية والجهل، والخوف من إيمانهم بربهم، فأكمل معهم بتلفيق التهم والمكر والتهديدات، وغاب عنه بأن نور الهداية والآيات، قد ملأ القلوب بالإيمان والتسليم، وأذعنت الأنفس للحق، واتباع رسالة موسى عليه السلام، ثم طلبوا من الله الثبات وأن يفرغ عليهم بالصبر، وهكذا دأب المؤمنين يدعونا ربهم، بالثبات والفرج على كل حال.

* * *

72/ ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ «سورة الأعراف: الآية (154)».

وعن أَبِي هريرة: أَنَّ رَجُلًا قَالَ للنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِني، «قَالَ: لا تَغْضَبْ، فَرَدَّدَ مِرَارًا قَالَ: لا تَغْضَبْ». رواه البخاري.

تشير الآية الكريمة بأن الغضب عندما، ذهب عن موسى عليه السلام، هدأت نفسه

وصفا الذهن لتوجيهات الرب والألواح، التي بها الهداية والرحمة، لمن يخشى ربه ويطمع في رحمته. تأمل أخي القارئ أن الغضب هو بوابة لكل شر، ويعطل جميع مدارك الحكمة والوعي لدى عقل الإنسان، ومن آفات الغضب الكراهية والعداوة مع الآخرين

والغضب نوعان: فالأول المحمود أي يغضب المؤمن لله ورسوله، والثاني المذموم وهو الغضب للنفس دائمًا، ويكون ديدن للمرء ويغلب على حياته دائمًا.

وعلاج الغضب يكون بما جاء في الوحيين، كالاستعاذة، والوضوء، وغيرها المذكورة في مواطن السنة.

* * *

73/ ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ «سورة الأعراف: الآية (170)».

ذكر المولى الكتاب قبل الصلاة، أي العلم قبل العمل، وكانت أول كلمة سمعها النبي محمد ﷺ من جبريل عليه السلام، هي كلمة (اقرأ) ولم يأمره بالصلاة ولا بالعبادة؛ فإذا علم المسلم، أحسن العمل والعبادة، فالجهل عدو الإنسان، والسؤال وطلب العلم شفاء هذا الداء.

على العبد أن يفهم كلام ربه والأوامر والنواهي ومقاصد الشريعة، حتى تكون عبادته على بصيرة وهدى، ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾، ويؤمن بأن أجره عند ربه لن يضيع، سماهم الباري بالمصلحين، لأنهم علموا فعملوا وصلوا، فهؤلاء يطلق عليهم بالمصلحين وليس الصالحين فقط، لأن العبد الصالح صلاحه لنفسه، وأما المصلح فهو أصلح نفسه، ثم بدأ بإصلاح غيره عندما علم الحق، فالمصلح نفعه متعدٍ وأجره أعظم، لأنه سلك سبيل المرسلين عليهم السلام.

* * *

74/ ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ «سورة الأعراف: الآية (195)».

تأمل هذا الحوار والنقاش العقلي في هذه الآية، خطاب من الله

موجه للمشركين، بأن الأصنام التي تعبدونها، هل تمتلك شيء من هذه الحواس، هل تستطيع دفع الضر عن نفسها أو غيرها، ومن هذه الآية يفضل للداعية أن يضم هذا الأسلوب أثناء دعوته للناس، بالخطاب العقلي والحوار السليم، بالحكمة القرآنية، لأن عقول البشر مختلفة والحكمة تقتضي تحسين الرسالة الإسلامية للناس، هناك من تميل نفسه للخطاب الوعظي، أو القصصي، أو العلمي، أو العقلي، والداعية عليه أن يراعي من حوله ومن يخاطب، ويكون خطابه يتسع لأغلب العقول والحضور.

❋ ❋ ❋

75/ ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ «سورة الأنفال: الآية (2)».

لين القلب والخوف من الله من العبادات الهامة، في حياة المسلم، لأن خضوع العبد وخشيته من ربه، دليل على حياة قلبه تجاه مولاه، ولذا تلاوة القرآن وذكر الله والتوكل عليه تعزز في العبد زيادة الإيمان، لأن الإيمان يزيد وينقص، فإذا شعر العبد بقسوة تجاه الدين أو القرآن، عليه أن يكثر من تلاوة القرآن والتوكل على الله، بأن يدعوه ويرزقه زيادة الإيمان.

ومن العبادات التي تساعد على خشوع القلب والقرب من المولى، جاء ذكرها في الآية التي بعدها: ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾.

إقامة الصلاة والنفقة، بهما يرزق العباد ويصلح حالهم، لأن العبادات تمحو الذنوب، فإذا خفت نفس العبد من الذنب، عادت فطرته السليمة، وخشع قلبه لأمر ربه.

* * *

76/ ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ «سورة الأنفال: الآية (46)».

هذه الآية اشتملت على مصادر القوة والنصر، والتوجيهات الربانية التي تعزز من اجتماع الكلمة، وعدم التفرق، فمن طاعة الله

ورسوله، ترك التنازع، واعتصام المسلمين، لأن التنازع لا يأتي بخير، لما في ذلك ذهاب لقوتهم وتفرقهم، ولا تزال آيات القرآن تذكرنا في كل حين، بمنزلة الصبر وهي ميزة أهل الإيمان، وبها يرزق العباد معية الله، وبها تنال خير الدنيا والآخرة.

* * *

77/ ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ «سورة الأنفال: الآية (61)».

يرشد المولى نبيه بأن الكفار، إذا نفوسهم رغبت في الصلح والسلامة، ومال رأيهم لذلك، فأقبل وتوكل على الله، وفوض أمرك إليه، تأمل في هذه الآية التي تدعو إلى السلامة، وتعزيز الأمن بين الطرفين، وأن يكون التنازل والمرونة خيار مسدد، من رب العالمين، يدلك هذا بأن مقاصد الشريعة، تنبع بالحكمة والحنيفية السمحة؛

ولذا العبد الموفق، يقبل الصلح والاعتذار، وهذه أخلاق الكبار، والنفوس السامية

رغم كفرهم إلا أن المولى أرشد نبيه أن يقبل السلامة، لما في ذلك منافع تعود على المسلمين.

* * *

78/ ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ «سورة الأنفال: الآية (62)».

صاحب الدين والمبدأ لا يبالي ولا يقلق، فقط يعتمد على ربه ويتوكل عليه فهو المعين والناصر له، فإذا كانت النية طيبة والفعل حسن، لا ينتظر المقابل من أحد، ولا يفكر في خداع من لا يستحق، بل عليه بفعل الخير ويرجو ما عند ربه، فهذه الآية تبشر النبي بالحفظ والتمكين من ربه، فهو كافيه من كيد الكفار وخداعهم.

* * *

79/ ﴿إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا﴾ «سورة الأنفال: الآية (70)».

ومن كمال رحمته، أنه يجازي عباده بالنوايا، ويكرمهم من فيض رحمته، ويمن عليهم بالهداية والصلاح، لذا على العبد الموفق، أن يحرص على النية الصالحة قبل العمل، في جميع أحواله.

* * *

80 / الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أشكره سبحانه على إتمام الجزء الأول من كتاب التأملات القرآنية الميسرة.

تم الانتهاء من الجزء الأول

عصر يوم الجمعة: 1/ 8/ 1446هـ